ابن الأشتر .. الاتجاه الواقعی فی التشیع (2)

پدیدآورده (ها) : بیضون، إبراهیم
ادیان، مذاهب و عرفان :: العرفان :: شهریور 1362 - شماره 717
از 41 تا 48
آدرس ثابت : http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/312188

دانلود شده توسط : رسول جعفریان
تاریخ دانلود : 25/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه،مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

ابن الأشتر.. الاتجاه الواقعي في التشيع

« ٢ »

بقلم: د. ابراهيم بيضون
أستاذ التاريخ
في الجامعتين اللبنانية واليسوعية

ومن ناحية أخرى على المستوى الكوفي، لم يحدث زعم المختار بأنه رسول ابن الحنفية، أية مفاجأة لدى زعماء الحركة الشيعية ومن بينهم ابن الأشتر نفسه. فهذا الأخير لم يفجأه من الأمر، سوى أن يتخذ المختار مكانه في الموقع الذي يتوق اليه[٣١]. وكان اعتراض ابن الأشتر على صيغة الكتاب الموجّه اليه من ابن الحنفية، الذي يطلق على نفسه في مستهله لقب «المهدي»[٣٢]، مضيفاً الى ذلك بما نُسب اليه في رواية «الشعبي» : « قد كتب اليَّ ابن الحنفية وقد كتبتُ اليه قبل اليوم، فما كان يكتب اليَّ الا باسمه وباسم أبيه»[٣٣]. وإذا كان الدافع الى هذا القول، هو الاستراية بهذا الكتاب[٣٤]، فإنه في جانب آخر أساسي منه، هو الاشارة الى العلاقة الوثيقة والرسائل المتبادلة بين ابن الحنفية وابن الأشتر، وهي علاقة متكاملة بين الزعيم العلوي «الروحي» وبين الزعيم الكوفي «الفعلي» للحركة الشيعية في الكوفة، حيث لم يحاول الأخير الخروج على خطها التقليدي الانضباطي والتابع لقرار القيادة العلوية في الحجاز.

ويبدو أن المختار قد نجح في التأثير على بعض وجوه الشيعة، ممن كانوا يميلون الى محمد بن الحنفية، حيث شهد عدد منهم بصحة الكتاب الذي يجعل من المختار نائباً للأخير في الكوفة[٣٥]. وتسهم رواية «الشعبي» في القاء الشك على هذه المسألة، بعدما نسب صاحبها لنفسه، التحقيق في صحة الكتاب، وإذا كان هؤلاء شاهدين فعلاً عليه. ولكن

(٣١) البلاذري، أنساب ج ٥ ص ٢٢٢.
(٣٢) المكان نفسه.
(٣٣) الطبري ج ٧ ص ٩٩.
(٣٤) البلاذري، أنساب ج ٥ ص ٢٢٣، الطبري ج ٧ ص ٩٩.
(٣٥) الأخبار الطوال ص ٢٩٠. الأنساب ج ٥ ص ٢٢٣.

www.noormags.ir

«الشعبي» الذي كان من جماعة ابن الأشتر[٣٦]، لم يقتنع بما أجاب أحدهم عليه: «ما شهدته حين كتبه ـ أي ابن الحنفية ـ غير أن أبا اسحق ـ يعني المختار ـ عندنا ثقة، وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفية، فصدقناه»[٣٧]. غير أن هذا الجواب لم يقنع «الشعبي» الذي ازداد ارتياباً، وانتهى به الأمر الى الاعتزال معبّراً عن ذلك بقوله: «فعرفت عند ذلك كذب المختار وتمويهه، فخرجت من الكوفة حتى لحقت بالحجاز، فلم أشهد من تلك المشاهد شيئاً»[٣٨]. هذه الرواية، انفرد بها «الدينوري» خضعت للتعديل عند «الطبري»، وان كانت تلتقي مع سابقتها بالموقف نفسه لفقيه[٣٩] الكوفة «الشعبي»، الذي ظلّ على موقفه من «الوثيقة»، حيث لم «يشهد» عليها كما فعل الآخرون[٤٠]، مما دفع ابن الأشتر الى استيضاحه: «افترى هؤلاء شهدوا على حق»[٤١]. فلم يشأ محاوره الذي أجاب بكياسة على تساؤل الأخير، أن يبعد الشقّة بينه وبين المختار، وهو من الساعين الى التوفيق بين الرجلين، حيث بدا ذلك من خلال قوله « قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة الشعراء ومشيخة المصر وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون الاّ حقّاً»[٤٢].

ولعل موقف الشعبي، يمكن اتخاذه مدخلاً الى الموقف الشيعي عامة في الكوفة، وهو يسجل مجموعة من الاستحقاقات ـ إذا جاز التعبير ـ عشية التحرك الذي قاده المختار وابن الأشتر.

١ ـ إن ثمة نزوعاً شعبياً وفقهياً الى القيام بعمل ما، سواءً كان يصبّ في المطلب السياسي التقليدي وهو تحقيق السيطرة على السلطة، أم في الرغبة الجامحة الى الانتقام للحسين، ذلك الشعور الذي أهاجه التوّابون بصورة انفعالية، قبل أن يلجأ المختار الى تحريكه وفق خطة مبرمجة وذكية. وقد نجد صدى ذلك في رواية «الشعبي» نفسه: «وأنا والله على شهادتهم متّهم، غير أني يعجبني الخروج، وأنا أرى رأي القوم وأحب تمام ذلك الأمر، فلم اطلعه ـ أي ابن الأشتر ـ على ما في نفسي من ذلك»[٤٣].

---

(٣٦) الطبري ج ٧ ص ٩٩.
(٣٧) الأخبار الطوال ص ٢٩٠.
(٣٨) الأخبار الطوال ص ٢٩٠.
(٣٩) الطبري ج ٧ ص ٩٩.
(٤٠) المكان نفسه، ابن الأثير ج ٤ ص ٢١٦.
(٤١) المكان نفسه.
(٤٢) المكان نفسه.
(٤٣) المكان نفسه.

www.noormags.ir

٢ ـ ان زعامة ابن الحنفية سجّلت تقدماً هاماً في تلك الحقبة النضالية من تاريخ التشيع ، مستفيدةً الى حد كبير من المناخ الثوري الذي انتشر حينذاك في شتى المناطق المعارضة للحكم الأموي . وكانت الحاجة ماسةً حينذاك في الكوفة، الى قيادة علوية تتخذ دورها المطلوب وتتوحّد تحت رايتها القيادات القبلية . ولعل ابن الحنفية الـذي أثبت كفاءة في هذا السبيل، كان الشخصية اللافتة التي وقعت عليها انظار أقطاب الحركة الشيعية، حيث انحسمت زعامتها أو كادت بالنسبة لهذه الأخيرة. ولا نجد أكثر تسويغاً لهذا التصور، من ذلك الاجراء الذي قام به ابن الأشتر ، قبل أن يضع حداً للشك والتردد ازاء المختار، عندما طلب الزعيم الكوفي من «الشعبي» أن يوقّع له زعماء الشيعة على «صحيفة» ويشهدوا بأن «محمد بن علي (ابن الحنفية) كتب الى ابراهيم الأشتر ، يأمره بمؤازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلّين والطلب بدماء أهل البيت»(٤٤)).

٣ ـ ان الحركة الشيعية التي كانت بؤرتها الرئيسية في الكوفة، والتي كان سوادها الأعظم من القبائل اليمنية ممثّلة على الأخص، بـ: نخع وهمدان والأزد، كانت لا تزال غير قادرة على اتخاذ قرارها المستقل بمعزل عن المظلّة العلوية، التي كانت ـ عدا موقعها القيادي ـ تستوعب التناقضات القبلية والسياسية في الحركة، وهو ما كان يعجز أي طرف في الكوفة عن القيام به.

٤ ـ إن هذا الارتباط الالحاقي للحركة الشيعية بقيادتها في الحجاز، ربما كان من عوامل قوتها وضعفها في آن. فمن جهة كان العلويون ـ بما لديهم من رصيد معنوي، ظلّ متوهجاً حتى نهاية الحكم الأموي (حركة زيد بن علي وابنه يحيى) ـ كانوا العنصر التوحيدي والتحريضي في مجتمع تغلبه القبلية ويسيطر عليه القمع والتخويف. ومن جهة أخرى، كان ابتعاد هذه القيادة، وإقامتها قسراً في المدن الحجازية، قد انعكس ارتباكاً على صفوف الحركة، حيث كان لبعد المسافة تأثير في ذلك، فضلاً عن تألب عنصر الوقت على نحو افقدها المبادرة لمصلحة خصومها الأمويين والزبيريين. ولعل هذا الارتباك كان واضحاً في المهمة الفاشلة التي قام بها مسلم بن عقيل عشية تحرك الحسين نحوالكوفة، كما كان أكثر وضوحاً في موقف الأخيرة من حركة المختار، التي ظلت «هويتها العلوية» خاضعة للشك.

والواقع أن مأساة المختار، أنه لم يخترق تماماً أسوار الارتياب بصحة شيعيته وعلويته معاً، في وقت لم يكن فيه ابن الحنفية قادراً ربما على اتخاذ قرار، كمثل الذي اعلنه المختار في الكوفة. ذلك أن الزعيم العلوي البارز كان يعيش في فلك الحكم الزبيري ويتعرض

(٤٤) الطبري ج ٧ ص ٩٩.

www.noormags.ir

لملاحقته من مكة الى الطائف الى العقبة[٤٥]. فإلى أي حدٍ توفّرت لدى ابن الحنفية مقومات الدور الذي نُسب اليه القيام به من خلال المختار؟ إن الجواب على هذا التساؤل يحاكي شخصية المختار غموضاً، الذي قام بحركة في أرض يعتبرها ابن الزبير شديدة الحيوية بالنسبة لمشروعه السياسي.

كذلك فإن مأساته أيضاً، أنه لم يرتهن فقط الى التغطية العلوية عبر ابن الحنفية، ولكن ارتهن بصورة أكثر عضوية لابن الاشتر، الذي كانت في يده الأدوات القبلية والعسكرية، أو بمعنى آخر كان يمتلك التغطية الفعلية للحركة. من هذا المنظور سيكون المختار محكوماً بموقف حليفه النخعي الذي حقق له انقلاباً سريعاً، مهدّ له الوصول الى السلطة[٤٦] بعد مقتل صاحب الشرطة[٤٧] واستسلام الوالي[٤٨] واخراجه من الكوفة بعد إكرامه[٤٩]، وذلك كبادرة ودّية نحو ابن الزبير، وإشعاراً له بأن حركته موجهة ضد الحكم الأموي، العدو المشترك للطرفين.

وهكذا أصبح المختار بفضل المظلة العلوية التي ارتفعت فوق حركته وبمساعدة ابن الأشتر، سيد الكوفة ورائد أول سلطة متشيعة في هذه الأخيرة، وذلك بالقليل جداً من الدماء، حيث كان الحكم الزبيري، وحيث النفوس توّاقة للنهوض بعمل ما يستهدف ردّ الاعتبار للمدينة، التي تعيش الهاجس الانتقامي الملّح، منذ مقتل الحسين وحتى نكبة التوابين. ولقد كان ابن الأشتر ينطق بمضمون هذا الشعور عندما طلب اليه المختار أن يلقى جيش ابن زياد في الموصل، إذ قال له: «ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام، ولا أحسن بصيرة في ذلك مني»[٥٠]. ومن هذا المنظور، فإن للزعيم الكوفي موقفه الثابت من هذه المسألة، التي جمعته والمختار في خندق واحد، دون أن يكون ملتزماً بالولاء له فيما يتعداها من مسائل، اثبتت التطورات ما بين الرجلين نحوها من اختلاف جذري. أي أن الجامع المشترك أو الحدّ الأدنى منه، هو المعاداة للحكم الأموي، وما يرفدها من رغبة في الانتقام، كانت جزءاً من المشروع الشيعي العام في الكوفة بالنسبة

(٤٥) المسعودي، مروج ج ٣ ص ٧٦، ص ٧٧.

(٤٦) تمّ ذلك يوم الخميس الواقع في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ/ ١٩ تشرين أول سنة ٦٨٥م الطبري ج ٧ ص ١٠٠. فلهوزن، الخوارج والشيعة ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٤٧) أيّاس بن مضارب. البلاذري، انساب ج ٥ ص ٢٢٤.

(٤٨) عبد الله بن مطيع.

(٤٩) الاخبار الطوال ص ٢٩٢. الانساب ج ٥ ص ٢٢٨.

(٥٠) الأخبار الطوال ص ٢٩٣.

www.noormags.ir

لابن الأشتر، بينما كانت المدخل الحيوي لمشروع خاص، كان المختار الثقفي قوته المحركة والمنظّمة، الظاهرة على الأقل، وعدا ذلك لا نستطيع تفسير ذلك الافتراق السريع من جانب الزعيم الكوفي، حيث كانت تباشيره في القول السالف المنسوب للأخير. فالظاهرة التي مثّلها المختار في تلك الفترة العصيبة والمعقدة من تاريخ الحركة الشيعية، مرتبطة بدون شك، بالأزمة التي عانتها هذه الحركة في اعقاب ضربتين متتاليتين حلّتا بها، كما أنها مرتبطة بصورة أكثر مباشرة بأزمة القيادة العلوية في الحجاز و«الحصار» المفروض على ابن الحنفية، حيث كان ابن الزبير، يرى فيه المنافس الأخطر بعد الحسين في هذا الاقليم. ولدينا الكثير من الشواهد على ذلك التناقض الذي استحكم في علاقة الزعيمين الزبيري والعلوي، حيث ربط الأخير بيعته للأول ببيعة «الجماعة»: «إذا لم يبق غيري بايعتك»[٥١]، في وقت كانت في عنقه بيعة يزيد، الذي لم ينفك متوددا اليه مقدّراً فيه موقفه من معارضيه معبّراً عن ذلك بما أورده «البلاذري»: «إن كنت رأيت مني خلقاً تنكره نزعت عنه وأتيت الذي تشد به عليّ»[٥٢].

والواقع أن هذا «الحصار» الذي كان يعيشه ابن الحنفية، بين بيعة اكراهية قديمة، وأخرى مستجدة، حمله رفضها الى السجن مع أهل بيته، والى مواجهة التهديد بالقتل: «أعطي عهداً لأن لم تبايعوني لأضربن أعناقكم أو لأحرقنكم بالنار»[٥٣]. حسب القول المنسوب لابن الزبير. هذا «الحصار» الذي اشتدّ على «ابن الحنفية» في الحجاز، وكان له انعكاسه على الوضع السياسي في الكوفة، وربما تدّخل في اللجوء الى المختار الذي تسلل الى هذه الاخيرة، عبر التناقض المثلث: الشيعي - الأموي - الزبيري.

ولكن المختار، الذي «كان في الذروة وكان أيضاً أمام الهاوية»[٥٤] كما يقول «فلهوزن»، لم يلبث أن قطف سلبيات هذا التناقض، الذي اسقطه، بمثل السرعة التي ارتقى اليها نحو القمة. فالورقة التي كانت رابحة بين ضعف الجبهة الشيعية في الكوفة و«حصار» ابن الحنفية في الحجاز، فضلاً عن الفراغ الأموي الكامل والزبيري شبه الكامل في الأولى، لم تعد كذلك بعد تبدّل المعطيات في العراق والتقدم الذي أحرزه مصعب بن الزبير - رجل الاسرة القوي - في هذا الاقليم. ولعله يجوز التساؤل هنا، عن تأثير الحملة

(٥١) البلاذري، انساب ج ٣ ص ٢٨٠.
(٥٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧٨.
(٥٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٨٢.
(٥٤) الخوارج والشيعة ص ١٥٩.

www.noormags.ir

القمعية التي استهدفت بصورة أكثر تصعيداً ابن الحنفية بعد سيطرة المختار على الكوفة، في ذلك التحوّل السريع الذي طرأ على الموقف الشيعي من المختار والانتقال الى المعسكر الزبيري الذي يقوده مصعب؟. فهل توجد ثمة علاقةما بين محنة ابن الحنفية وأصحابه «حيث انقطعت عنهم مواردهم واشتدت حاجتهم»[٥٥]، وبين انفراط التحالف مع المختار، الذي عبّرت عنه مجموعة أقطاب القبائل الشيعية (كندة، الأزد، نخع، بجيله)[٥٦]، ذلك التحالف الذي بقي واهياً ومحاطاً بالشك: « هذا كذاب، يزعم أنه يُوالي بني هاشم، وإنما هو طالب دُنيا»[٥٧].

من هذا المنظور، يصبح بقاء ابن الأشتر في الموصل بعد انتصاره الباهر على عبيدالله بن زياد في معركة خازر[٥٨] أقل ابهاماً، ومرتبطاً بالقرار الشيعي، الذي ترك المختار في مواجهة مصيره، أمام مصعب بن الزبير، سيد العراق الجديد في ذلك الحين. إن «فلهوزن»، يسوّغ عدم دعوة المختار لابراهيم بأن الأخير « لم يكن نصيراً مخلصاً كل الاخلاص»[٥٩]. ولو تم ذلك لكان للأمور شأناً آخر، حسب رأي المؤرخ نفسه[٦٠]. ولعل«فلهوزن»أصاب الحقيقة في اعتقاده، الا أنه لم يعط تفسيراً أبعد من ذلك للدوافع التي حدت بابن الأشتر الى الاستنكاف في الموصل، تاركاً منجزاته العسكرية في الكوفة، تجابه الانهيار. ان هذا الموقف لم يكن فردياً أو شخصياً، بقدر ما كان خاضعاً لقرار الحركة الشيعية، التي رفعت مظلتها عن المختار خاصة وأنه جاء مسبوقاً بنقد وجّهه ابن الحنفية للمختار، على سياسته الكوفية حسب رواية « أبي مخنف»: «فليتق الله وليكفف عن الدماء»[٦١].

لقد كان ابن الاشتر، وفياً لمبدئه، شديد الايمان بتشيعه الذي نهله من أصفى المنابع، وتلقّاه مع المعاناة طوال السنوات الثلاثين الصعاب من تاريخه، كحركة سياسية طليعية في ظل الحكم الأموي. من هنا يتخذ ابن الأشتر فرادته في هذه الحركة ويطمح الى قيادتها في الكوفة، لولا ظهور المختار من «الباب العلوي»، الذي كان المدخل الأوسع للاستقطاب الشعبي في هذه المدينة، فكيف بمن كانت له مواصفات الزعيم الثقفي في

(٥٥) البلاذري، انساب ج ٣ ص ٢٨٧.
(٥٦) الاخبار الطوال ص ٢٩٩.
(٥٧) المكان نفسه.
(٥٨) الطبري ج ٧ ص ١٤٥.
(٥٩) نهر بين الفرات الأعلى والموصل. معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٧.
(٦٠) الخوارج والشيعة ص ١٦٢.
(٦١) الطبري ج ٧ ص ١٣٥ - ١٣٦.

www.noormags.ir

التأثير وسرعة المبادرة والتقاط السوانح . . . وإذا كان غير مطروح مناقشة المضمون الشيعي لحركة المختار، الذي ارتبط منذ اليفاعة بهذا التوجه السياسي، فإن السؤال يبقى ملّحاً عن مدى استيعاب هذه الحركة للقضايا الشيعية البارزة، لا سيما المتعلقة بالسلطة والاصلاح الاجتماعي والاقتصادي. ولعل هذه الثغرة، كانت وراء العزلة التي وجد فيها المختار نفسه في الكوفة بعد غياب ابن الاشتر عنها، حيث رفضت الأخيرة ان تسلّم مصيرها لقيادةٍ يحيطها الشك أو بعضه، خاصة في «الجانب العلوي» منها، ذلك الذي تلقاه ابن الأشتر على مضض، وتخلى عنه بالقرار، بعد اتضاح ما بين خطّه الواقعي الانضباطي، وما بين خط المختار المبهم والمموه، من تناقض وارتياب.

ولعل هذه المسألة تقترب من الحسم أو تكاد، مع استفراد مصعب بن الزبير للمختار في الكوفة وإسقاط نفوذه بعد نحو عام ونصف من قيامه[٦٢]، دون أن يحرّك ابن الأشتر ساكناً أو يبدي اهتماماً لذلك. فثمة صمت غير عفوي، رافق القضاء على زعيم الكوفة الثقفي، سرعان ما أعقبه انضمام ابن الأشتر الى مصعب، بصورة غير عفوية أيضاً. مما يعزز الاعتقاد بخروج المختار كلياً أو جزئياً من دائرة القاسم المشترك مع التشيع الكوفي الذي يقوده ابن الأشتر، بما في ذلك الحدّ الأدنى للنضال المرحلي ضد الدولة الأموية، حيث وجد الحيّز «المثالي» لهذا الموقف في حركة ابن الزبير، لا سيما الجناح العراقي منها، الأكثر برمجةً وثورية من الجناح الحجازي. فالأرضية الكوفية تنازعتها حينذاك اتجاهات سياسية ثلاث (الأمويون ـ الزبيريون ـ الشيعة)، كان الاتجاه الشيعي أضعفها، كونه مستهدفاً بالضراوة نفسها من جانب الآخرين، بينما الحركة الزبيرية كانت مستهدفة أموياً في المقام الأول، دون أن يبادلها الشيعة بالعداء نفسه. ومن هذا الموقع ومن خلال واقعيته السياسية ونظرته البعيدة، كان يرى ابن الأشتر في حركة المختار الثقفي، مشروعاً لا يملك من مقومات النجاح، الا المغامرة ودافع الثأر الجماعي للحسين، بالاضافة الى الفراغ القيادي في الجبهة الشيعية بعد مقتل الأخير والفراغ السياسي في الكوفة بعد تدمير قوة التوابين، وخروج السلطة الأموية وقيام سلطة زبيرية ضعيفة. هذا المشروع، على الرغم من اعتراف ابن الأشتر به في أول عهده، بصرف النظر عن ملابسات ذلك، لم يشأ الأخير المضي بعيداً في تبنّيه وتأييده، بعد أن توخى فيه الفشل الحتمي، فكان التخلي عنه، تخلياً عن نهج غير واقعي، ومتعارض مع النهج المركزي للحركة الشيعية، حيث كان ابن الأشتر من كبار

(٦٢) تولى المختار السلطة في الكوفة في ربيع الأول من العام ٦٦هـ، وقتل في رمضان من العام التالي. الطبري ج ٧ ص ١٠٠. ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧٨.

www.noormags.ir

دعاته في الكوفة. ولم يكن التحالف مع مصعب بن الزبير، إلّا تعبيراً عن هذه الواقعية والتزاماً بالقرار الشيعي، الذي جسّد أولويات المرحلة النضالية، المتوحّدة مع أولويات حركة ابن الزبير في العراق، وهي القضاء على الحكم الأموي، العدو المشترك للطرفين في ذلك الحين.

ومرة ثانية تضيق دائرة الاختيارات، على اتساعها، أمام شخصية تاريخية أخرى في الحركة الشيعية، فتزهد بالمناصب في سبيل المبدأ، ولا يخونها الالتزام وهي تتلقى المغريات. فما أروع قراءة ابن الأشتر في أيامه الأخيرة، وقد عاد للدولة الأموية شأوها بقيادة عبد الملك، حين كتب اليه الأخير من «مسكن»(٦٣)، حسب مروية (الدينوري)، واعداً بـ « الفرات وما سقى » ، مقابل تخلّيه عن مصعب والانضمام اليه. أما الجواب، فكان « حسينياً» في الشكل والعمق، دون ثمة محاولة لامتحان الوفاء أو القرار : « لو جُعل لي ما بين المشرق الى المغرب، ما أعنت بني أمية على ولد صفية»(٦٤).

فهي كربلاء أو صفحة منها.. نقرؤها، نهجاً وثورة وبطولة، في «البيان» الأخير.

إبراهيم بيضون

---

(٦٣) على مقربة من نهر دجيل عند دير الجاثليق، المكان الذي جرت فيه المعركة بين مصعب وعبد الملك سنة ٧٢هـ. معجم البلدان ج ٥ ص ١٢٧. راجع أيضاً البلاذري، انساب ج ٥ ص ٣٣٦.

(٦٤) كتب عبد الملك الى « رؤساء أصحاب مصعب يستميلهم اليه ويعرض عليهم الدخول في طاعته، ويبذل لهم الأموال.. وكتب الى ابراهيم بن الأشتر فيمن كتب. فأقبل ابراهيم بالكتاب مختوماً، فناوله مصعباً وقال: أيها الأمير هذا كتاب الفاسق عبد الملك بن مروان. قال له مصعب، فهلا قرأته، قال ما كنت لأفضه ولا أقرأه، إلا بعد قراءتك له. ففضه مصعب وإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك، أمير المؤمنين إلى ابراهيم بن الأشتر. أما بعد، فإني أعلم أن تركك الدخول في طاعتي ليس إلا عن معتبة، فلك الفرات وما سقى.. فقال مصعب: فما يمنعك يا ابن النعمان؟ قال: لو جعل لي ما بين المشرق إلى المغرب ما أعنت بني أمية على ولد صفية» الأخبار الطوال ص ٣١١ ـ ٣١٢. كذلك روى (عوانة: «إن عبد الملك ابان مسيره إلى العراق، كتب الى وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغبهم في الأموال والأعمال. وكتب إليه جماعة يستعجلونه على نصرتهم إياه وانحرافهم عن المصعب ولاية اصبهان. فكان يسأل عنها ويقول: ما أصبهان هذه، أتنبت الذهب والفضة؟ لقد كتب الي فيها أربعون كتاباً. وكتب عبد الملك إلى ابراهيم بن الأشتر، فجعل له ولاية العراقين. فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له: أصلح الله الأمير، إن عبد الملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب، إلا وقد كتب الى هؤلاء الوجوه بمثله وقد أفسدهم عليك. فأنا أرى أن تأخذ وجوه أهل المصرين فتشدهم بالحديد». البلاذري، انساب ج ٥ ص ٣٣٧. راجع أيضاً: الطبري ج ٧ ص ١٨٥ وابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٣٢٥.

www.noormags.ir